الفنون الإسلامية
الإيرانية والتركية

دكتورة

حنان عبد الفتاح مطاوع

أستاذ الآثار الإسلامية المساعد

بقسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الطبعة الأولى

٢٠١٠م

الناشـــر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ – الإسكندرية

أولا : الفنون الإسلامية الإيرانية

الفصل الأول
السمات العامة للطرز الفنية
الإيرانية فى العصر الإسلامى
وأشهر عناصرها الزخرفية

مقدمة:

إيران وتاريخ إهتمامها بالفنون التطبيقية :

قدر لبعض الشعوب أن يكون لها فى تـــاريخ المدنيـــة شـــأن خطير وأن تكون فى ميدان الفنون إماما وعلى رأس تلـــك الـــشعوب الأغريق والإيرانيون وأهل الصين، فالأغريق تركزت لديهم الأساليب الفنية الكلاسيكية التى قامت على أساسها الفنون الغربية، أما الأساليب الصينية فأمتدت فى ربوع أسيا، بينما كانت إيـــران ملتقـــى الفنـــون القديمة فى الشرق الأدنى ونمت فيها أساليب فنية تأثرت بفنون بابـــل وأشور ومصر والهند وبلاد اليونان .

وقد شهد العالم القديم ترابط بين الفن الأغريقى والإيرانى منذ عهد الأسكندر الأكبر الذى كان يفكر فى تأسيس أمبراطورية تـــضم بلاد الشرق الأدنى تحت لواء الأغريق واتجه نظرة إلى إيران يتخذها مركزاً هذه الأمبراطورية ولكنه مات قبل أن يظفر بتنفيذ مـــشروعة، وعلى الرغم من حاله الحرب بينهم منذ أن تولى بنى ساســـان حكـــم إيران فى عام ٢٢٤م إلا أنه حدث تبادل فنى حيث تسربت إلى الفنون البيزنيطية الموضوعات الزخرفية الإيرانية. غير أن الحروب الطويلة بينهم أنهكت قوتهم فأصبحت إيران وبيزنطه عاجزين عن مواجهـــة المسلمين فى بداية القرن السابع الميلادى/الأول الهجـــرى فـــسقطت إيران وأصبحت جزء من الأمبراطورية الإسلامية التـــى لـــم تلغـــى شخصية إيران بل استعانت بهم فى أنظمة الحكم والأســـاليب الفنيـــة تأكدت بشكل واضح فى العصر العباسى الذى نقل مقر حكمـــة فـــى

بغداد فكان هذا إيذاناً بانتصار إيران فى ميـــدان الحيـــاة الاجتماعيـــة والفنية والعلمية .

وسرعان ما أصبحت إيران فى طليعة الأمم الإسلامية عنايـــة بتشيد العمائر الفخمة وصناعة التحف النفسية وأصبح لها الزعامة فى الفنون الإسلامية. ونقل عنهم الترك معظم أساليبهم الفنية وأزدهـــرت فيها العديد من الطرز الفنية لاسيما منذ القرن ٤هـ بعد أن إستعادت استقلالها السياسى والثقافى فأنتعشت المدنية الإيرانيـــة ونمـــت فيهـــا الآداب والفنون .

سمات الطرز الإيرانية الإسلامية :

نعنى بالطراز المدارس الفنية التى تكونت نتيجة لانتشار الدين الإسلامى وبالتالى اهتمام الأمراء المسلمون بنقل الفنانيين من منطقـــة إلى أخرى واستدعاءهم لآشهر الفنانيين إلى مقر حكمهم مـــن ســـائر الأقاليم وكان لهذا أكبر الأثر فى تكوين الطرز الفنية والتقريب بينهـــا وتأثير بعضها على بعض .

ومن تلك المدارس أو الطرز : الطراز الأموى فى المـــشرق والطراز الأموى فى الأندلس والطراز العباسى والفاطمى والآيـــوبى والمملوكى والسلجوقى والإيرانـــى التتـــرى والأســـبانى المغربـــى والصفوى والمغولى الهندى والتركى .

وقد كانت إيران ميدان لآربعة من الطرز الإســـلامية التـــى ذكرناها وهى الطراز العباسى والسلجوقى والإيرانـــى المغـــولى أو التترى والصفوى.

أولا : الطراز العباسى :

ساد فى الأقاليم الإسلامية من بينها بلاد فارس ذلك بعد إنتقال العاصمة إلى بغداد ومن أهم خصائصه :

١- إستخدام الأجر والجص فى العمائر عوضا عن الحجر .

٢- كانت الأسقف تُحمل مباشراً على أعمدة أو دعائم بـــدون عقود

٣- إستخدام الأعمدة الخشبية .

٤- استخدام الموضوعات الزخرفية الساسانية مع البعد عـــن القوة والعنف .

٥- بداية ظهور الخزف ذى البريق المعدنى .

ثانيا : الطراز السلجوقى :

١- إمتازت فيه العمائر بضخامتها وإتساعها .

٢- إمتاز بإستخدام رسوم الكائنات الحيه المحوَّرة عن الطبيعة .

٣- كثرة إستخدام الزخارف المجسمة لاسيما فى واجهات العمائر

٤- كثرة بناء الأضرحة على شكل أبراج أســطوانية أو متعــددة الأضلاع

٥- إنشاء مدارس لتعليم المذهب السنى .

٦- ضخامة المداخل .

٧- تغطية الجدران باللوحات القاشانيه أو الفسيفساء .

٨- إستخدام المحاريب المسطحه .

٩- إستخدام الخط النسخى إلى جانب الخط الكوفى .

١٠- ظهور مدارس التصوير الإسلامى لأول مرة .

١١- إستخدام الورق حيث تعلموا تلك الصناعة من الصين .

١٢- إزدهار صناعة التحف المعدنية لاسيما فى مدينة الموصل التى إشتهرت بتكفيت المعادن بالذهب والفضة .

١٣- إزدهار صناعة الخزف ذى البريق المعدنى المعروف باسم المينائى المزدان بموضوعات من المخطوطـــات المـــصورة الأمر الذى دفعهم إلى الاستعانة برسامين المخطوطـــات فـــى رسم الزخارف .

١٤- إزدهار صناعة الزجاج وتمويهة بالمينا .

١٥- إزدهار صناعة السجاد.

ثالثا :الطراز الأيرانى التترى :

كان المغول أو التتار قبائل رحل سيطروا على الصين بقيـــادة جنكيز خان ونجحوا فى تكوين دولة كبرى، وشنوا العديد من الغارات المدمرة واستطاع هولاكو حفيد جنكيز خان من فـــتح بغـــداد وقتـــل المستعصم أخر خلفاء بنى عباسى فتمكنوا بذلك من القـــضاء علـــى الخلافة العباسية كما تمكنوا من القضاء على ملـــوك خـــوارزم فـــى إيران.

ويجدر بالذكر أن التتار استطاعوا بعد هدأه الحروب المدمرة أن يتأثروا بالثقافة الصينية فعملوا بعد ذلـــك علـــى رعايـــة الفنـــون والأداب لاسيما بعد دخلوهم الإسلام ولم ينـــسوا أصـــلهم المغـــولى فأحدثوا ترابط بين الصين وإيران .

ولكن للأسف تعرضت دولة التتار بعد هولاكو الذى نجح فى تأسيس الأسرة الايلخانية التى تهذب أفرادها بالحضارة الإيرانية ثـــم

اعتنقوا الإسلام للضعف فأنقسمت على نفسها إلى عدة دويلات محلية إلى أن قضى عليها تيمورلنك فى القرن ٧هـ وإستقر له الأمر فى بلاد ما وراء النهر إلى أن قامت الأسرة الصفوية سنة ٩٧٠هـ وتطور الفن برعايتها تطوراً أدى إلى قيام طراز فنى جديد.

والغريب أنه على الرغم من حاله التدمير التى أصابت العالم الإسلامى بسبب الغارات التترية إلا أن هولاكو وخلفائه آولوا الفنانين إهتماما خاصا هم وآرباب الصناعات على عكس ما كان يفعل تيمورلنك الذى كانت قسوته مضرب الأمثال ولكن الغريب أنه حاول تجميل عاصمته سمرقند غير أن الفنانين والصناع كانوا يعملون تحت ضغط شديد منه.

ولهذا فعلى الرغم من حالة الخراب إلا أن اهتمام هولاكو وتيمورلنك وخلفائهم بالفن والصناع تجعلنا نغضى النظر عنهم حيث نجحوا فى تكوين الطراز التترى الذى تميز بعدة خصائص :

١- كان الطراز المغولى شديد التأثر بالفن الصينى .

٢- أحدثوا إمتزاج بين الفن الإيرانى والصينى .

٣- ساعدوا على نشر الفن الصينى إلى جميع البلاد الإسلامية ومنها مصر .

٤- ظل الاهتمام ببيناء الأضرحة البرجية السلجوقية مستمراً فى العصر المغولى .

٥- زادت الأضرحة البرجية ذات القباب عظمة وضخامة عن طريق زيادة مساحتها والمبالغة فى إرتفاعها وكثرة استخدام العقود فيها.

٦- إمتازت المساجد بأناقتها وشاع فيها استخدام قبة واحدة ضخمة يؤدى إليها مدخل عظيم .

٧- زاد الإهتمام بالمدارس التى تعتمد على دراسة المذهب السنى .

٨- تميزت المحاريب بكسواتها الجصية والخزفية والقاشانية.

٩- زاد الإهتمام بالمقرنصات فى زخرفة العمائر ولكن بعيدا عن المبالغة

١٠- إستخدام المحاريب المصنوعة من القاشانى أو الخزف ذو البريق المعدنى

١١- تميزت العناصر الزخرفية بأشكال الحيوانات الخرافية والرسوم الآدمية ذات السحنة الصينية .

١٢- إحتفاظ بغداد فى العصر المغولى والتيمورى بكتابة المصاحف والاهتمام بفنون الكتاب

١٣- ساهم المصوريون فى زخارف القاشانى والخزف .

١٤- ظهور خط التعليق كأحد أنواع الخط النسخى الجديدة .

١٥- إنتشر السجاد ذو الصره المركزية .

١٦- إنتشار صناعة الحرير المزدانة بأشكال الكائنات الخرافية .

١٧- لم يصيب نجاحا كبيرا فى صناعة المعادن اللهم فقط فى صناعة السيوف ذات النصول العريضة المزخرفة بأشكال الحيوانات الخرافية

رابعا : الطراز الصفوى :

ينسب هذا الطراز إلى الشاه إسماعيل الذى استولى على إيران فى القرن ٩هـ/١٠هـ وأسس الأسرة الصفوية التى تنسب إلى صفى

الدين أحد الأولياء فى مدينة الأردبيل ومذهبها الدينى هــو المــذهب الشيعى على عكس المذهب السنى الذى يتزعمة الاتراك .

ويمتاز الطراز الصفوى فى إيران بعدة خصائص منها :

١- البعد تماما عن التأثيرات الصينية .

٢- الإهتمام بالقصص البطولية الإيرانية القديمة .

٣- تصوير الطبيعة والحياة اليومية .

٤- إزداد الإستعانة بوجــود الخطــاطين والمــذهبين والمــصورين والمجلدين فى تصميم الفسيفساء والمنسوجات.

٥- إزداد الإهتمام بمدينة أصفهان بإعتبارها العاصمة .

٦- نمو العلاقات بين إيران وأوربا من ناحية والشرق الأقصى مــن ناحية أخرى.

٧- ظل الإهتمام بكسوه العمائر بلوحات الفسيفساء.

٨- بالغوا فى الاهتمام ببناء القصور والأسواق والخانات .

٩- بالغوا فى الاهتمام بفنون الكتاب مــن خــط وتــذهيب وكتابــة المخطوطات وظهر مجموعة شهيره من المصورين مثل بهــزاد ورضا عباسى .

١٠- إمتدد نفوذ المصوريين إلى رسوم الــسجاد والخــزف فــى القرنين ١٠هــ/١١هــ .

١١- زيوع إستخدام السيوف المقوسة بدلا من المستقيمة العريضة السابقة عليهما .

العناصر الزخرفية الإيرانية فى العصر الإسلامى

لاريب أن الطرز الفنية الإيرانية التى إزدهرت فى العصر الإسلامى زخرفية قبل كل شىء وهى تشبه فى هذا الميدان سائر الطرز الفنية الإسلامية عامة والواقع أنها تشبهها أيضا فى تجريد الموضوعات الزخرفية والبعد بها عن أصولها الطبيعية .

ونستطيع أن نقسم عناصر الزخرفة الإيرانية إلى عدة أنواع:

١- الزخارف النباتية .

٢- أشكال الكائنات الحية .

٣- النقوش الكتابية .

٤- الزخارف الهندسية.

٥- العناصر المعمارية كوحدات زخرفية.

١- الزخارف النباتية :

أتقنها الفنانون الإيرانيون فكانت هذه الرسوم على يديهم أكثر مرونة وأقرب إلى الحقيقة منها فى سائر الطرز الإسلامية فنقل عنهم فنانوا الطراز التركى العثمانى، وقد ظهرت هذه العناصر على الخزف والمنسوجات النفيسة فى إيران ثم فى القاشانى والسجاد والأخشاب والزجاج .

والواقع أن الزخارف النباتية بدأت منذ القرن ٨هـ/١٤م فى أن تكون مثالا صادقا للطبيعة وأصاب الفنانون أقصى حدود النجاح فى هذا السبيل ولعلهم تأثروا بالأساليب الفنية الصينية الوافدة إلى إيران على أيدى المغول وفى عصر الأسرات التى جاءت من بعدهم.

أهم العناصر الزخرفية النباتية :

ومن أهم الرسوم النباتية التـــى اســـتخدمها الإيرانيـــون فـــى زخارفهم الوريدات والمراوح النخيلية (البالمت) واللوتس والشجيرات والرمان الأوراق ولاسيما نبات شوكة اليهود (الاكانتش).

وطبيعى أن هذه الرسوم النباتية أصابها ما أصاب غيرها فى سائر الطرز الإسلامية من تحوير عن أصـــولها الطبيعيـــة وتنـــسيق وتهذيب Stylisation ولكنها كانت فى الطرز الإيرانية أو ثق صـــلة بنماذجها الطبيعية .

كما امتاز عصر السلاجقة بدقة الزخارف النباتية المكونة من الفروع والسيقان الممتدة فى رشاقة وإتزان يمثلان أبدع ما نعرفه فى زخرفة التوريق .

مدى اهتمام الفنان الإيرانى بالزخارف النباتية :

كان توفيق الإيرانيون عظيماً فى استخدام الرســـوم النباتيـــة ورسوم الزهور وفى الجمع بينهما وبين سائر العناصـــر الزخرفيـــة ولاسيما فى الصور وزخارف الخزف والسجاد .

وفى عصر السلاجقة كان صناع التحف المعدنيـــة يجمعـــون كثيرا بين الزخارف النباتية والزخارف الهندسية ومن أعظم الرســـوم شأنا فى ذلك العصر ورق العنب ونبات شوكة اليهود (الاكانثس).

كما أستخدمت الفروع النباتية كثيرا فى الزخارف الإيرانيـــة كأرضيه تقوم عليها عناصر أخرى أدمية (حيوانية)، وكانت رســـوم الفروع النباتية فى القرن ٧هـــ/١٣هـــ محلاة بالوريقات وبـــالزهور فلم يهملوا الزخارف النباتية على الرغم من قيام الطـــرز الإســـلامية

على أنقاض الأساليب الفنية القديمة لذلك غلبت الزخارف الحيوانيـــة والأدمية (راجع كتالوج الأشكال).

٢- أشكال الكائنات الحية :

أولا : الصور الأدمية :

لم تكن البيئة والعادات تساعد الفنان الإيرانى منذ الزمن القديم على معرفة الجسم الإنسانى ودراسته ورسمه وعمل التماثيل له كمـــا أتيح للفنان الإغريقى فقد ورثت إيران الأساليب الفنية التـــى كانـــت سائدة فى بلاد العراق والجزيرة فى الأزمنة القديمـــة وكـــان قـــوام الرسوم الأدمية فى تلك الأساليب الفنية هو تجريد الجـــسم الإنـــسانى وانحاده رمزاً وعنصراً للإيضاح والتفسير والدلالة على جلال الملك وعظمة الألهة .

وقد كانت إيران أكثر الأمم الإسلامية إستخداماً للصور الأدمية فى زخارفها ولكننا نلاحظ أن تلك الصور لها صفاتها الخاصة فالفنان لا يقصد بها الا التوضيح .

لقد كانت أكثر الصور الأدمية فى الزخارف الإيرانية مستمدة من حياة البلاط كرسم الأمير على عرشه ومن حوله اتباعه والقائمون على التسلية من طرب وموسيقى أو رسمة فى رحلات الصيد أو فى القتال وقد أقبل الفنانون الإيرانيون منـــذ القـــرن ٦هـــ/١٢م علـــى إستعمال الصور التوضيحية ذات الصور الأدمية لتكـــوين منظـــر أو شرح أسطورة .

ثانيا : أشكال الطيور والحيوانات :

كما كان للأشكال الحيوانية وأشكال الطيور دوراً هامـــاً فـــى الطراز الإيرانية ولعل أكثر هذه الحيوانات والطيور التى إســـتخدمها

الإيرانيون فى زخارفهم الأسد والفهد والغزال والأرنب والطـــاووس والبط والخيل والباز والطائر يتدلى من منقارة فـــرع نبـــاتى علـــى الطريقة الساسانية وكذلك الجمل والفيل فضلا عن الحيوانات الخرافية والمركبة التى تسربت إلى إيران مع غيرها مـــن الأســـاليب الفنيـــة الصينية كالتنين على سبيل المثال وكانت الرسوم الحيوانية الإيرانيـــة فى بداية العصر الإسلامى تشبه كثيراً رسوم العصر الساسانى فـــى الجفاف والقوة ولاسيما رسم المفاصل كما كانت تشبهها أيـــضا فـــى اتباع التماثل والتوازن ورسم الحيوانات والطيور متواجهة أو متدابرة أو رسمها متتالية فى شريط من الزخرفة وعلـــى كـــل حـــال فـــإن الإيرانيين لم يعتنوا فى الزخارف الحيوانية بتقليـــد الطبيبعـــة تقليـــدا صادقا إلا فى العصور الذهبية التى تقدم الفن فيها، وفـــى الحقبـــات التاريخية التى تأثر فى أثنائها بالأساليب الفنية الـــصينية فـــى رســـم الحيوان والنبات (راجع كتالوج الأشكال).

٣- النقوش الكتابية :

والواقع أن النقوش الخطية من أعظم الزخـــارف شـــأنا فـــى الفنون الإسلامية فقد إنتشر الخط العربى بنمو الإسلام وامتداده فـــى زمن قصير إلى جمال زخرفى لم يصل إليه خط أحـــر فـــى تـــاريخ الإنسانية عامة ولم تستخدم الكتابات لتسجيل أسم صـــاحب البنـــاء أو التحف أو للتبرك فقط بل أن الفنان الإيرانى استخدم الكتابـــة لـــذاتها كعنصراً زخرفيا.

والواقع أن الإيرانيين لم يقبلوا على استخدام الكتابة فى الزخرفة قبل القرن ٤هـ/١٠م والزخارف الكتابية التى ترجع إلى هذا التاريخ تعد نادرة فى إيران وكلها بالخط الكوفى .

ولكن معظم الزخارف الكوفية عند الإيرانيين لم يكن لها طابع إيرانى خاص ولم يكن الفرق كبيرا بينها وبين الزخارف الكوفية فى سائر الأقاليم الإسلامية اللهم إلا فى الثروة الزخرفية التى كانت تبدو غالباً فى الأرضية التى تقوم عليها الكتابة، كما نرى فى قطع النسيج الإيرانية التى ترجع إلى القرن ٦هـ/١٢م. والكسوات الجصية بالمسجد الجامع بقزوين ٦هـ/١٢م والمسجد الجامع بأصفهان (راجع كتالوج الأشكال).

٤- الزخارف الهندسية :

أما الزخارف الهندسية فإنها أقل شأنا فى الطرز الإيرانية منها فى سائر الطرز الإسلامية ولعل ذلك راجع إلى غنى الطرز الإيرانية بالزخارف الأدمية والحيوانية والنباتية .

والمشاهد على كل حال أن الزخارف الهندسية فى الفن الإيرانى لم تبلغ أوج عزها إلا منذ القرن ٥هـ/١١م وأنها كانت ملائمة جدا للزخرفة بقوالب الطوب وبالفسيفساء الخزفية حيث صار لها شأن عظيم فى العمارة الإيرانية.

كما استخدمت أيضا فى رسوم الصفحات المذهبة وفى زخارف الحشوات الخشبية .

بينما أصاب الفنانون فى تطعيم المعادن أبعد حدود التوفيق فى الجمع بين الزخارف الهندسية والزخارف النباتية أما فى الخزف والمنسوجات فإن استخدام الزخارف الهندسية كان نادراً.

ومن أهم العناصر الهندسية فى الفن الإيرانى المثلث والمربع والدائرة والنجمة ولكن أكثر الزخارف الهندسية التى نجدها فى الطرز الإيرانية أنما تكون فى زخارف العمائر مثل جامع الشيخ مغنى بأردبيل .

كما أستخدمت الزخارف الهندسية فى تذهيب بعض المخطوطات الثمينه ولاسيما المصاحف فى القرنين ٧، ٨هـ/ ١٣، ١٤م كما يظهر فى إجزاء من مصحف فى دار الكتب المصرية كتبها وذهبها عبدالله بن محمود الهمذانى ٧٣٣هـ للسلطان المغولى (الجايتو خدابندة) أبعادة ٤٠ × ٥٠سم وصفحاتها المذهبة غنية بزخارفها الهندسية التى تتميز بتنوعها ونضارتها.

وتمتاز الزخارف الهندسية الإيرانية بأنها أكثر إتزانا وتنوعا وأعظم تركيباً من الزخارف الهندسية فى الطرز الإسلامية الأخرى كالطراز المغربى الأندلسى والطراز المملوكى المصرى (راجع كتالوج الأشكال) .